المحاضرة: 6

المدرسة الوظيفية الفرنسية

أندريه مارتنيه

**أندريه مارتنيه:**

ولد أندريه مارتنيه سنة 1908 في سان ألبان دي فيلار بمنطقة السافوا الفرنسية، وهو يعتبر من لمع علماء الألسنية المعاصرين و رائد المدرسة الألسنية الوظيفية.

ومنذ عام 1938 ولغاية 1995 وجَه مارتنيه تدريس مادة الألسنية العامة في المعهد التطبيقي للدراسات العليا في باريس، وفي السوربون. وقد اضطلع بالمسؤولية نفسها من العام 1955 و لغاية عام 1977، إلى ذلك أحيا أندريه مارتنيه قسم الألسنية في جامعة كلومبيا في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد مارس التعليم الجامعي في كل من أكسفورد، برنستون، طوكيو...وتخلد جامعات لوفون، تركو، فالبريزو، لياج، فريبورغ إن بريسغو، و بيلبارو، صيته في هذا المجال.

إن تطور فكره، الذي سرعان ما اتخذ بعدا عالميا، يعود إلى حد كبير لعلائق الصداقة، بل للاهتمامات العلمية التي ربطته بكل من هيلمسليف، تروبتسكوي، جاكوبسن، وغيرهم. و هو يفضل النظرة الوظيفية و الدينامية لوقائع اللغة الإنسانية و ألسنتها المتحققة على ما سواها.

**أهم آراء أندريه مارتنيه:**

1. **وظيفة اللّغة *la fonction de la langue*:**

يعدّ "مارتينيه" الوظيفة التواصلية الوظيفة الأساسية للغة في المجتمع اللّغوي، وهذه الوظيفة تؤديها اللّغة باعتبارها مؤسسة إنسانية، رغم اختلاف بنيتها من مجتمع لغوي على آخر، فهي الوظيفة الجوهرية للغة عنده، ولكنه لا ينفي بقية الوظائف التي تؤديها اللّغة، بل يقرّ بها ويعتبرها ثانوية، كما يرى أن اللّغة ليست نسخاً للأشياء ونقلاً آليا لها، بل هي بُنى منظمة ومتراصة ومتكاملة يتطلّع المتكلم من خلالها إلى عالم الأشياء والأحاسيس، وهو ما ينتج الخبرة الإنسانية فتعلُّم لغة أجنبية مثلاً، لا يعني وضع علامات جديدة للأشياء المألوفة، وإنّما هو اكتساب نظرة تحليلية مغايرة بالتعرف على بُنى لغوية تعكس الواقع بطريقة مختلفة عن اللّغة الأم.

1. **التقطيع المزدوج:**

إن اللغات البشرية تتكون من مفاصل، أو بعبارة أخرى يمكن تقطيعها، وهذا تختص به كل الألسنة، و يرى مارتنيه أن ذلك التقطيع يمكن ملاحظته وتوضيحه من خلال مستويين مختلفين: إن كل الوحدات التي تنجم عن التقطيع الأول هي في الواقع مكونة بدورها من وحدات ذات مفاصل من ضرب آخر.

* التقطيع الأول: هو ذلك الذي يقوم على أن كل ظاهرة من ظواهر التجربة البشرية نريد تبليغها أو كل حاجة من حوائجنا نود تعريف غيرنا بها، تحلل إلى متوالية من الوحدات لكل منها صورة صوتية و معنى. إن كنت أشعر بالصداع يمكنني أيضا أن أعمد للصراخ حتى يعرف من حولي ألمي، لكن هذا وحده لا يكفي لجعله تبليغا لسانيا، فهو غير قابل للتحليل لأنه يطابق مجموع الاحساس بالألم غير القابل للتحليل. وخلاف هذا تلفظي بجملة: يوجعني رأسي. فهي وحدات أربع: **يوجع** - **ني** – **رأس** - **ي**.ف كل واحدة من هذه الوحدات يمكن أن توجد في سياق آخر مغاير تماما لتبليغ ظواهر أخرى من التجربة البشرية. مثال: **توجع** فلان مما نزل بصاحبه. ونقول: **رأس** القوم. وغيرها من الاستخدامات، و يمثل هذا التقطيع الأول الاقتصاد اللغوي.

إن التقطيع الأول هو الطريقة التي بها ترتب التجربة المشتركة لدى كل أعضاء مجموعة لسانية معينة. و إنه لا يمكننا أن نقوم بعملية التبليغ إلا في إطار هذه التجربة و التي تكون موقوفة بالضرورة على ما هو مشترك بين عدد هائل من الأشخاص.

* التقطيع الثاني: كل وحدة من وحدات ذاك التقطيع الأول تمثل كما رأينا معنى و صورة صوتية، و إنه لا يمكن تحليلها إلى وحدات متوالية دنيا ذات معنى، فمجموعة: رأس، تعني ذلك و لا يمكننا أن ننسب إلى: رأ، و إلى: س معنيين متميزين إذا جمعناهما يدلان على: رأس. لكن الصورة الصوتية قابلة للتحليل إلى متوالية من الوحدات تساهم كل واحدة منها في تمييز رأس مثلا عن وحدات أخرى مثل: فأس/ بأس / روس....وهذا ما نسميه **بالتقطيع الثاني** للغة.

فكلمة رأس تتألف من ر/ أ / س/، فبفضل التقطيع الثاني يمكن للألسن أن تكتفي ببضع عشرات من إنتاجات صوتية متميزة نؤلف فيما بينها لنحصل على صور صوتية لوحدات التقطيع الأول، وهذا المستوى الثاني بدوره يمثل مظهرا من مظاهر الاقتصاد.

**فالتقطيع الأول تمثله المونيمات، و الثاني تجسده الفونيمات.**

**ج- المبادئ الوظيفية للدراسة اللسانية:**

يحصرها "مارتينيه" في ما يلي:

* **الصلات القائمة بين الوحدات اللسانية:**

يدرس التركيب اللساني الوظيفي العلاقات بين المونيمات، وما ينتج عن ذلك من تأثير في طبيعة التراكيب وتتحدّد وظيفة كل مونيم داخل الجملة انطلاقا من هذه العلاقات.

* **رتبة الوحدات اللسانية:**

إنّ دراسة علاقة المونيمات فيما بينها وحدها لا تكفي لتحديد وظيفتها، بل يجب معرفة موقعها وانتظامها داخل تركيب وفق ترتيب معيّن، فاختلاف الموقف يؤدي إلى اختلاف وظيفتها التركيبية.

* **محتوى الوحدات اللسانية:**

يركز "مارتينيه" على المحتوى الدلالي للمونيم الذي يكسبه دلالة خاصة ومستقلة عن غيره تجعله يؤدي وظيفة مميزة داخل التركيب.

* **مفهوم الملائمة:**

تعتبر الملاحظة الموضوعية للمعطيات أساس كل علم، وهذه المعطيات متشابكة ومعقدة لذا يجب التركيز على مظهر الموضوع، وعلى اللساني أيضا أن يتقصى السمات الخاصة والملائمة للموضوع الذي يسعى لدراسته، فاللّغة كباقي العلوم لها سمات ملائمة أو مناسبة لتحليلها، (فالأعداد مثلا: هي السمات المناسبة في علم الحساب، والأشكال هي السمات التي يجب التركيز عليها في علم الهندسة)، وهذه الطريقة تحدّد مستويات الدراسة بدقة ووضوح.

* **الاقتصاد اللّغوي:**

تطوّر اللّغة مرتبط بشكل كبير بأسباب خارجية أهمها: اتصال بنية لغة ببنية لغة أخرى، وحاجة التواصل داخل المجتمع هو أحد الأسباب الرئيسية الذي يساعد على تطور اللّغة.

ويشير "مارتينيه" هنا إلى أنّ هذه الأسباب الخارجية يكمن تأثيرها في اندراجها في إطار بنية اللّغة، كما أنّه يركز على وجوب المحافظة على التفاهم والاتصال الذي يضمن للغة البقاء والتطوّر**.**

* **الدراسة التركيبية *Syntaxe*:**

استطاع "مارتينيه" أن يطوّر التحليل التركيبي للجملة، انطلاقا من النتائج التي وصلت إليها الدراسة الفونولوجية، فوضع الخطوط الأولية لهذا التحليل الذي يقوم على أساس وظيفة العناصر اللسانية في التركيب وطرق ترتيبها.

ومن الملاحظ أنّ التحليل التركيبي في اللسانيات قد تخلى – بصفة عامة- عن مصطلح (كلمة) لما قد يحدثه من اضطراب في المفاهيم، ولأنه يطلق على وحدات صغيرة ليتمّ معنى كلمة مثل: من، على، هل ... ويطلق أيضا على وحدات ليست صغيرة، وتتكوّن من عناصر لكل واحد منها وظيفته مثل: خرج، اخرج، فكلاهما تتضمّن الحروف الدالة على الخروج، واخرج تتضمّن زيادة على ذلك الصيغة الدالة على الأمر الموجه للمخاطب المفرد المذكر، لهذا كان من الضروري توخي مصطلحات أكثر دقة، تفي بمفهوم الوحدة الصغيرة، وقد اصطلحت النظرية الوظيفية على هذا المفهوم بالمونيمmonème.

**مراجع المحاضرة:**

* مبادئ في اللسانيات العامة، أندريه مارتنيه.
* المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بو قرة.
* وظيفة الألسن و ديناميتها، أندريه مرتينيه.